المبنية من «التنك»، التي طارت من شدة القصف؛ وصيدا عاصمة الجنوب أصبحت خربة، وآثار الهمجية الصهيونية ترتسم على كل زاوية وشارع. وصلنا البلدة في الساعة العاشرة صباحاً فاستقبلنا الأهل بالبكاء.

البعض انفرجت أساريره بسبب الاجتياح، بل كنت تسمع كلمات مثل «مجيء اسرائيل رحمة لنا»، «خلصونا من الفلسطينيين»، «ارتحنا»؛ طبعاً هذا الشعور كان يتفاوت من قرية الى أخرى. الاَّ أنني لم أستطع مناقشة أحد بحكم عنف الحرب وما ولدته من مآسٍ اجتماعية. فالعديد من الناس ظنّوا أن جيش «الدفاع الاسرائيلي» لن يمسهم بأذى أو يعتقل أحداً من أبنائهم «لأن أكثريتهم نظيفين واسرائيل بس بتعتقل المخربين». هذا الوهم كان معشعشاً في أذهان كثيرين من أبناء الجنوب. كما أن اسرائيل من جهتها شجعت هذه الأوهام في القرى والمخيمات، فكانت بياناتها تدعو المواطنين الى «سلم تسلم» و«من يسلم سلاحه لا يعتقل» و«من يحمل البطاقة الأمنية فان جيش الدفاع لا يمسه بسوء». باختصار كان الشعور السائد في الجنوب هو أن اسرائيل لن تتعاطى الا مع المنظمين في الحركة الوطنية والمقاومة.

واسرائيل التي ساعدت على أنتشار هذا الشعور وتكريسه بين المواطنين، كانت تعطي تصريحات المرور لكافة المواطنين من لبنانيين وفلسطينيين بغية ايقاعهم في الشرك الاسرائيلي، كما أنها، وفي سياق محاولاتها لايهام الناس بحسن نواياها، راحت تدخل العديد من القرى من الأبواب الاجتماعية والمساعدات المالية.

الاحتلال الاسرائيلي للجنوب، جر وراءه الى المنطقة العديد من المتعاونين معه، الذين كانوا، بفعل النقمة الشعبية عليهم، مضطرين للاقامة بعيداً عن مناطق التواجد الوطني في الجنوب.. وعودة «آل الخليل» لصور، وتوسع رقعة انتشار جماعة حداد وعودة «الدايخ» لجويا، يشكلون أبرز الأمثلة لهذا الواقع الجديد الذي كرسه الاحتلال، كما أسقط الاحتلال الاقنعة عن وجوه بعض العملاء الذين ظلوا مستترين سابقاً، وذلك حينما ارتدوا البدلات الاسرائيلية بكل وقاحة. هذه المجموعات التي جلبها الاحتلال معه، بدأت بفتح المراكز العسكرية وضم وتأطير كل ما هو فاسد و«رذيل» من أجل مساعدة قوات الاحتلال الاسرائيلي في حملاتها للتنكيل بالعناصر الوطنية وفرض جو الارهاب و«الخوات» على المواطنين، كما هو حاصل في قرى أنصار، عدلون، كفر رمان، الزرارية وجويا؛ حيث يفرض «أزلام» حداد ضريبة على كل مواطن وسيارة، بحجة دفع رواتب حراس القرية؛ فحيدر دايخ، قدم نفسه كشخصية طائفية ترتدي عباءة الاحتلال: «أنا شيعي متعصب وأرفض مجيء حداد الى هنا والدخول الى قراكم والتنكيل بأولادكم». وذهب «دايخ» أبعد من ذلك حينما ألصق صور الامام موسى الصدر على سياراته العسكرية، محاولاً بذلك خداع الناس، متناسياً حقيقة ان الجماهير الجنوبية لم يعد التغرير بها أمراً سهلاً؛ وهذا ما أثبته العديد من القرى التي لفظت حيدر دايخ وأمثاله، ورفضت التعامل معهم، مما دفع بهؤلاء الى تشديد قبضة الارهاب على قرى الجنوب؛ بحيث أنهم كانوا، دائماً، في المقدمة والطليعة، حينما كان جيش العدو يداهم هذه القرية أو تلك، لاعتقال بعض الوطنيين وزجهم في «زرائب» المعتقلات الصهيونية. وفي بعض المرات التي كانت تبرز فيها التناقضات الثانوية بين «آل الخليل» والدايخ على مفاتيح النفوذ، كانت اسرائيل تتدخل